بــر الوالدين

تأليف
عبد الحليم سلام

بسم الله الرحمن الرحيم



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :

ISBN :
12.5 X 17.6 cm . 82 P

٨ ش جمال حمدان – خلف عمارات المقاولون العرب – آخر شارع مصطفى النحاس – الحي الثامن – مدينة نصر
ت : ٠٠٢٠٢٩٢٨٨١٢٩
فاكس : ٠٠٢٠٢٩٢٨٨١٢٩
محمول : ٠١٢٤٣٩١٧٤٢
ص . ب : ١١٧٤٦٠
برقيا : الحي الثامن – م.نصر
القاهرة – مصر

BALANCIA
BUPLISHERS
Cairo - Egypt
Tel : 002029288129
Fax : 002029288129
Mob : 0124391742
P.O.Box : 117460
E-Mail :
anagmyy@ yahoo.com
Web Location :
http://www. balancia.com

إهداء

أهدي هذا البحث المتواضع إلى

والــدي و والدتــي

عليهما رحمة الله

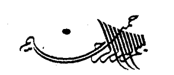
وأسكنهما فسيح جنانه وأن يجعل ذلك في

ميزان حسناتهما

ونسألكم لهما الدعاء بالرحمة والمغفرة .

عبد الحليم سلام

بـر
الوالدين



مُقَدِّمَة

رغب إليّ أخي وصديقي الأستاذ / **عبد الحليم سلام** أن أقرأ هذه الفوائد الجلية في بر الوالدين، فصادف ذلك قبولاً عندي لما للبر من أهمية في حياتنا ، ولما نراه – للأسف – من عقوق في أيامنا ، لأسباب كثيرة عالجها الأخ عبد الحليم في هذه الفوائد من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما فيهما من قصص وتوجيهات وفوائد تحض على بر الوالدين وتُرغب فيه ، وتنهى عن عقوق الوالدين وتحذر من عواقبه الوخيمة في الدنيا قبل الآخرة .

وقد عالج الأخ عبد الحليم موضوع بر الوالدين في سبعة فصول قصيرة بعد المقدمة تناول في الفصل الأول هلاك ابن نبي الله نوح عليه السلام بسبب عقوقه

وكفرانه بالله مبينًا أن عروة العقيدة هي العروة الوثقى التي لا تعدلها عروة النسب وذلك من خلال عدة مشاهد تجعلنا نعيش جو القصة كأننا نراها .

وإذا كان العقوق قد أهلك ابن نوح ، فإن البر كان سببًا في نجاة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهذا ما عالجه الفصل الثاني مبينًا فضائل إسماعيل وإبراهيم وكيف كافأ الله إبراهيم على بره لأبيه الكافر ببر ولده إسماعيل إياه .

ثم استعرض في الفصل الثالث بر عدد من أنبياء الله بآبائهم مثل سليمان بن داود عليهما السلام ويحيى بن زكريا عليهما السلام ، وعيسى بن مريم عليهما السلام ثم خصص الفصل الرابع لقصة أُوَيس القرني الذي مدحه الرسول ﷺ بالبر وكيف كان مجاب الدعوة لبره بأمه ثم عرض قصة من قصص البر في

القرآن الكريم ممثلة في قصة صاحب البقرة ، مُعرّضًا ببني إسرائيل ولجاجتهم .

وعرض في الفصل الخامس للبر في القرآن الكريم ، أما الفصل السادس فخصصه للحديث عن البر في السنة النبوية المطهرة من خلال الآيات والأحاديث .

كما أن الأخ عبد الحليم أحسن في الفصل السادس حين تناول العقوق في السنة وجزاءه وعاقبته ، فبضدها تتميز الأشياء .

وجاء الفصل السابع ليعرض مشاعر الآباء نحو الأبناء وكيف يكون حالهم حال فقدهم من خلال رثاء ابن الرومي الشاعر لولده الأوسط " محمد " ثم كانت الخاتمة القصيرة التي دعا فيها المؤلف الأبناء إلى التأمل في أحوال أهليهم بعد النظر في الكتب ليروا أن السعادة في البر وأنَّ الشقاء قرين العقوق ،

داعيًا إياهم إلى الاختيار بين طريقي الجنة أو النار .

شكر الله لأخي عبد الحليم حسن اختياره للموضوع وجودة معالجته ، وأسأل الله أن ينفع به وأن يجعله في ميزان حسناته .

كما أدعوه إلى إخراج ما في جعبته من نظريات وآراء وفوائد أطلعني عليها في الأعوام السابقة ولم تر النور حتى الآن .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

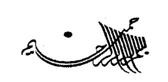
بسيم عبد العظيم عبد القادر

أستاذ الأدب والنقد المساعد

كلية التربية للبنات بالأحساء

المملكة العربية السعودية

الثلاثاء ٨/٨/٢٠٠٦م



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين أما بعد

فإن الله تعالى قد قرن شهادة أن محمدًا رسول الله بشهادة أن لا إله إلا الله كما قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادته فقال تعالى ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (1) أي أن الله سبحانه وتعالى جعل الإحسان إلى الوالدين بعد عبادته سبحانه وتعالى وجعل جزاء البر لا يعدله جزاء وهو الحياة الطيبة في الدنيا ،والجنة في الآخرة إن شاء الله قال تعالى

---

(١)سورة الإسراء : ٢٣

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) ، وجعل للعقوق عقابًا لا يعدله عقاب وهو الضنك في الدنيا بحرمانه بر أولاده ،وله في الآخرة نار جهنم قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٢) وليعلم الجميع أنه لن يجزى ولدٌ والده مهما عمل فقد ورد عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه "رواه مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه. ومع أن الجهاد ذروة سنام الإسلام إلا أن إذن الوالدين شرط فيه ؛ فعن

---

(١) سورة النحل : ٩٧

(٢) سورة طه : ١٢٤-١٢٦

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال : " أحيٌّ والداك ؟ " قال : نعم . قال : " ففيهما فجاهد "

رواه البخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي .

ومع ما للآباء من فضل فقد كثر العقوق ؛لأن مشاغل الدنيا وحب المتاع العاجل قد شغل الشباب واستحوذ على اهتماماته فأردت أن أُذَكّر الشباب بفضل الوالدين وبدأت أولاً بذكر النماذج العملية وبدأت بنموذج العقوق قبل البر لنفيق مما نحن فيه ثم أتيت بنماذج البر لتكون حافزًا للشباب البار على مزيد من البر ، ولكي يفيق العاق مما هو فيه ؛فإن وفقت فمن الله وإن قصرت فمن نفسي ومن الشيطان والله ولي التوفيق .

إعداد
أ. عبد الحليم عبد العظيم سلام
المنوفية - بركة السبع - الدبايبة

هلاك ابن نبي الله نوح عليه السلام

لقد كان عُمْر نوح عليه السلام يوم الطوفان ٩٩٠ سنة حيث لبث يدعو قومه ٩٥٠ سنة والأنبياء يبعثون من سن الأربعين فيصبح العمر ٩٩٠ سنة .

وأثناء الطوفان رأى نوح عليه السلام ولده فناداه " يا بنى اركب معنا " ولكن للأسف الشديد ظن ابن نوح كما يظن الشباب اليوم أن أباه من الجيل القديم الرجعى المتخلف الذي يعتقد في الدين ولكنه يريد أن يعيش أيامه كما يعيش كل الشباب في لهو ومرح فقال ردًا على أبيه " سآوي إلى جبل يعصمني من الماء " ولكن هيهات هيهات فأمر الله نافذ فقد هلك ابن نوح لأنه بداية عق أباه ،وثانيًا كفر بالله ، ونلاحظ أن نوح عليه السلام لم يستطع أن يهدى ابنه ربما لأمرين

اثنين الصحبة السيئة لأهل الكفر وكذلك كفر أمه ، فالأم يعول عليها الكثير والكثير في تربية الأولاد ولننظر في ظلال القرآن لنرى القصة بالتفصيل :

المشهد الهائل المرهوب : مشهد الطوفان :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [1] إن الهول هنا هولان . هول في الطبيعة الصامتة ، وهول في النفس البشرية يلتقيان ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ .

وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح ، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم ،

---

(١) سورة هود : ٤٢-٤٣ .

وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة ، ويروح يهتف بالولد الشارد :

﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة ، والفتوة المغرورة لا تُقَدّر مدى الهول الشامل:

﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾

ثم ها هي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير:

﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ .

لا جبال ولا مخابئ ولا حام ولا واق . إلا من رحم الله .

وفي لحظة تتغير صفحة المشهد . فها هو ذا الموج الغامر يبتلع كل شيء:

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ .

وإننا بعد آلاف السنين ، لنمسك أنفاسنا - ونحن نتابع السياق - والهول يأخذنا كأننا نشهد المشهد . وهي تجري بهم في موج كالجبال ، ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء . وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء ، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء ، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب !

وإن الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحية - بين الوالد والمولود - كما يقاس بمداه في الطبيعة ، والموج يطغى على الذرى بعد الوديان . وإنهما لمتكافئان ، في الطبيعة الصامتة وفي نفس الإنسان . وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن) [1]

---

(١) في ظلال القرآن ص ١٨٧٨

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡر۪ىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾ (1)

انتهاء الطوفان واستقرار السفينة

وتهدأ العاصفة ، ويخيم السكون ، ويقضى الأمر ويتمشى الاستقرار كذلك في الألفاظ وفي إيقاعها في النفس والأذن:

---

(1) سورة هود : ٤٠-٤٣ .

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (1)

ويوجه الخطاب إلى الأرض وإلى السماء بصيغة العاقل ، فتستجيب كلتاهما للأمر الفاصل فتبلع الأرض ، وتكف السماء ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ ابتلعته الأرض في جوفها وغار من سطحها ﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ ونفذ القضاء ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ ﴾ورست رسو استقرار على جبل الجودي ﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهي جملة مختصرة حاسمة معبرة عن جوها أعمق تعبير (قيل) على صيغة المجهول فلا يذكر من قال ، من قبيل لف موضوعهم ومواراته: ﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ

---

(1) سورة هود : ٤٤ .

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بعدا لهم من الحياة فقد ذهبوا ، وبعدا لهم من رحمة الله فقد لعنوا ، وبعدا لهم من الذاكرة فقد انتهوا ، وما عادوا يستحقون ذكرا ولا ذكرى !)[1]

عتاب نوح لسؤاله عن ابنه الغريق
واستئناف الحياة من جديد على الأرض

والآن وقد هدأت العاصفة ، وسكن الهول ، واستوت على الجودي ، الآن تستيقظ في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾

رب إن ابني من أهلي ، وقد وعدتني بنجاة أهلي، وإن وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين فلا تقضي إلا عن حكمة وتدبير . .

قالها يستنجز ربه وعده في نجاة أهله ، ويستنجزه حكمته في الوعد والقضاء . .

---

(١)في ظلال القرآن ص ١٨٧٩

وجاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها . فالأهل - عند الله وفي دينه وميزانه - ليسوا قرابة الدم ، إنما هم قرابة العقيدة . وهذا الولد لم يكن مؤمنا ، فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن . . جاءه الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد ؛ وفيما يشبه التقريع والتأنيب والتهديد ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾،﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[1]

---

(١) في ظلال القرآن ١٨٧٩

الحقيقة الكبرى لهذا الدين

إنها الحقيقة الكبيرة في هذا الدين ، حقيقة العروة التي ترجع إليها الخيوط جميعا ، عروة العقيدة التي تربط بين الفرد والفرد بما لا يربطه النسب والقرابة ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾فهو منبت منك وأنت منبت منه ، ولو كان ابنك من صلبك ، فالعروة الأولى مقطوعة ، فلا رابطة بعد ذلك ولا وشيجة ، ولأن نوحا دعا دعاء من يستنجز وعدا لا يراه قد تحقق ، كان الرد عليه يحمل رائحة التأنيب والتهديد ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ إني أعظك خشية أن تكون من الجاهلين بحقيقة الوشائج والروابط ، أو حقيقة وعد الله وتأويله ، فوعد الله قد تحقق ، ونجا أهلك الذين هم أهلك على التحقيق .

ويرتجف نوح ارتجافة العبد المؤمن يخشى أن يكون قد زل في حق ربه ، فيلجأ إليه ، يعوذ به ، ويطلب غفرانه ورحمته)[1]

نوح عليه السلام يستعيذ بالله

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾

وأدركت رحمة الله نوحا ، تطمئن قلبه ، وتباركه هو والصالح من نسله ، فأما الآخرون فيمسهم عذاب أليم ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾

وكانت خاتمة المطاف:النجاة والبشرى له ولمن يؤمن من ذريته ؛ والوعيد والتهديد لمن يريدون منهم متاع الحياة الدنيا ثم يمسهم العذاب الأليم ، ذات

---

(١) في ظلال القرآن ١٨٨٠

البشرى وذات الوعيد ، اللذان مرا في مقدمة السورة. فجاء القصص ليترجمهما في الواقع المشهود ..)[1]

لقد هلك الولد العاق مع أن الفرصة كانت سانحة لو استجاب لنداء الأب الحاني فالأب رئيس المركبة الوحيدة الناجية في هذا العالم في ذاك الوقت ولكن هذه هي النهاية المأساوية لكل عاق متمرد على أبيه وعلى شرع الله فالعقوق يمنع من دخول الجنة حتى ولو كان العاق مسلمًا فلم تغن نبوة نوح عليه السلام ابنه عن دخول النار .

حرص الآباء على الأبناء قد يورطهم

لقد تورط سيدنا نوح عليه السلام فسأل الله تعالى سؤالا ما كان ينبغي له أن يسأله ولهذا نهاه الله تعالى فقال ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ فأصبح سيدنا نوح عليه السلام في غاية الحرج

(١) في ظلال القرآن ص١٨٨٠

فاستعاذ بالله مما حدث فقال ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ وهذا مصداقًا لقوله تعالى في صورة التغابن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ فإذا كان هذا حال سيدنا نوح وهو نبي من أولي العزم من الرسل والرسل معصومون فكيف يتورط شخص عادي لا عصمة له بسبب تعاطفه مع ولده البعيد عن ذكر الله فقد يصل به إلى الكفر الغير مباشر " ومع هذه الصورة القاتمة للعقوق انظر إلى تلك الصور المشرقة في البر في قصة سيدنا إسماعيل وسيدنا إبراهيم عليهما السلام وغيرهم .

البر سبب النجاة (إسماعيل عليه السلام)

أمر الله سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام وكان عمر سيدنا إبراهيم في ذلك الوقت قرابة ٩٥ سنة فلما عرض الأمر على ولده ﴿ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ .

لقد تحمل هذا الأمر الرهيب بالاستعانة بالله لينال ثواب الله وليكون بارًا بأبيه فلا يحرم أباه من أن يكون طائعًا لله فكانت النتيجة المفرحة السعيدة بأن عافاه الله من الذبح قال تعالى ﴿ وَفَدَيۡنَـٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴾ .

تأمل أخي أن سيدنا إسماعيل دعي للذبح من أبيه وهو في سن الشيخوخة فلم يقل لأبيه إنك أصبحت شيخًا هرمًا مخرفًا ولم يقل له أن هذه أضغاث أحلام

مع أن إبليس عليه لعنة الله وسوس له بكل هذا فاستعاذ بالله من ذلك ولم يقل دعنى أعيش أيامي فإني ما زلت في مقتبل العمر فالله تعالى هو القائل : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ أي لما بلغ مبلغ الشباب لهذا كافأه الله بجوائز عديدة :

أولا : عافاه من الذبح .

ثانيا : مُنح ذبيحة من الجنة ليأكل هو ومن حوله من طعام الجنة جزاءً لهذه الطاعة في الدنيا قبل الآخرة .

ثالثا : نال شرف مساعدة أبيه في بناء البيت الحرام قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1]

---

(1) سورة البقرة ١٢٧ .

رابعًا : أصبح نبيًا . ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (١) .

خامسًا : نال دعوة أبيه بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة لله مبارك في أرزاقها .

سادسًا : أصبحًا جدًا لخير المرسلين محمد ﷺ .

سابعًا : أصبح باسمه مكان في البيت الحرام يسمى حجر إسماعيل وهذا تخليدًا لذكراه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

انظروا أيها الأبناء إلى فوائد البر وكيف ارتفع سيدنا إسماعيل عليه السلام إلى أعلى الدرجات ونال من الجوائز ما رأيتم كل هذا لأنه كان طائعًا لله بارًا بأبيه في المنشط والمكره فقد وافق على الذبح فنجا وانظروا إلي ابن نوح عليه السلام طلب منه أبوه أن ينجيه

---

(١) سورة مريم ٥٤ .

فأبى فهلك ! فاختاروا لأنفسكم أيها الأبناء أي الطريقين فنحن في عصر الحرية ؟ فأنتم المستفيدون أولاً وآخرًا ببركم لآبائكم وأمهاتكم .

س: لماذا كان إسماعيل عليه السلام بارًا بأبيه ؟

ج: لأن سيدنا إبراهيم كان بارًا بأبيه مع أن أباه كان كافرًا وقد أغلظ عليه غلظة ما بعدها غلظة قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (١)

نرى من هذه الآيات أن مع غلظة الأب الكافر رحمة الولد البار المؤمن فقد قال لأبيه في سورة مريم ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ وهذا يؤكد حديث النبي ﷺ " بروا آبائكم تبركم أبناؤكم "

إيمان إبراهيم عليه السلام

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا

(١) سورة مريم ٤١ – ٥٠ .

رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]

وهذا هو طريق الفطرة البديهي العميق . . وعي لا يطمسه الركام ، وبصر يلحظ ما في الكون من عجائب صنع الله ، وتدبر يتبع المشاهد حتى تنطق له بسرها المكنون ، وهداية من الله جزاء على الجهاد فيه . . وكذلك سار إبراهيم ﷺ وفي هذا الطريق وجد الله . . وجده في إدراكه ووعيه ، بعد أن كان يجده فحسب في فطرته وضميره . . ووجد حقيقة الألوهية في الوعي والإدراك مطابقة لما استكن منها في الفطرة والضمير .

---

(١) سورة الأنعام ٧٥-٧٨ .

بإيمان سيدنا إبراهيم المبني على الدليل والحجة بعد التأمل في هذا الكون الفسيح وببره لوالده الذي لم يؤمن بالله وقد أساء والده معاملته إلا أن إبراهيم عليه السلام ظل على بره وبهذا حقق سيدنا إبراهيم طرفي المعادلة وهما الإيمان بالله والبر بالوالدين فهما قرينان لابد منهما في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

ولهذا نال هذه الجوائز الربانية :-

أولا :مع أن الأنبياء كثيرون لكن أولي العزم من الرسل هم خمسة فأصبح سيدنا إبراهيم من أولي العزم من الرسل .

ثانيا : اتخذه الله خليلاً وهذه منزلة أعلى من أولي العزم .

ثالثا : بارك الله له في ولده إسماعيل فعافاه من الذبح وبشر بإسحاق من بعده كما نرى في هذه الآيات ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُۥ مِنْ

عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ (١)

رابعًا : بشره في موضع آخر بأنه سيظل حيًا يرزق حتى يتزوج إسحاق وينجب يعقوب عليهما السلام وذلك لأن الإنسان بفطرته يكون قلقًا على ابنه الأصغر وخصوصًا أنه أنجبه في سن قارب المائة وكما نقول في المثل الشعبي " خلف الشيب يتيم " فها أنت يا إبراهيم اطمئن تمامًا فلن يكون ولدك إسحاق يتيمًا بل سترى ذريته في حياتك ويكون هو الآخر نبيًا وهو يعقوب عليه السلام . ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ .

(١) سورة الصافات ٩٩ – ١١٣ .

خامسًا : نال شرف رفع قواعد البيت .

سادسًا : استجاب الله دعوته فبارك في الأرض التي بجوار الحرم المكي .

سابعًا : نصره الله على النمرود الذي حاجه في ربه كما قال الله تعالى في سورة البقرة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

ثامنًا : أراد سيدنا إبراهيم أن يكون إيمانه عن يقين مقرونًا بالتجربة والمعجزة ليكون إيمان الخواص فطلب من الله ﷻ أن يريه كيف يحيي الموتى فاستجاب الله دعوته فقال تعالى في سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

تاسعًا : نال شرف أن يؤذن في الناس بالحج فأسمع كل من في الأرض بحول الله وقوته فقال تعالى في سورة الحج ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

عاشرًا : استجاب الله دعوته فبعث محمدًا ﷺ إماماً لكل العالمين. كما نرى في هذه الآيات.

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟

مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن
طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا
مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ
عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ
رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ
إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١)

(١) سورة البقرة ١٢٤-١٣٠ .

الفصل الثالث

أنبياء بارون بآبائهم

أولا : بر سيدنا سليمان بأبيه داود عليهما السلام

وكما أن سيدنا إسماعيل عليه السلام لم يعب على أبيه أن يذبحه فإن سيدنا سليمان عليه السلام لم يحقر شأن أبيه مع أنه حكم حكمًا كان أعدل فيه من حكم أبيه وهو فهم من الله .

فقد جاء في سورة الأنبياء ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ

حَـٰفِظِينَ ﴾(1) " نرى من هذه الآيات أن الله ﷻ هو الذي أفهم سيدنا سليمان وكان قادرًا أن يفهم سيدنا داود ولكن كان هذا بمثابة امتحان لسيدنا سليمان عندما يكون حكمه أفضل من حكم أبيه فهل سيتكبر أم لا ؟ كما فعل كسرى حين انقلب على أبيه فقتله وحكم بدلا منه ولكن سيدنا سليمان نجح في هذا الامتحان فلم يغتر بعلمه ولهذا استجاب الله دعوته حين قال ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ فآتاه الله هذا الملك فحكم الإنس والجن وكانت الريح تجرى بأمره ألا يكفى أن كل ذلك ما كان لأحد من قبله ولن يكون لأحد من بعده وهذه نعم لا تحصى ألا يكون كل ذلك من ثمرات الطاعة لله والبر بالآباء .

- وكذلك ليتعلم الآباء سماع رأى الأبناء فقد يكون فيه الصواب أو الأصوب .

---

(1)سورة الأنبياء ٧٨ – ٨٢

ثانيا : سيدنا يحيى بن زكريا عليه السلام

لقد مدح الله سيدنا يحيى في القرآن الكريم أنه كان بارًا بوالديه فقال تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (١)

ثالثاً : سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام

هكذا أيضًا يمدح الله سيدنا عيسى عليه السلام في القرآن الكريم بعدة صفات منها أنه كان بارًا بوالدته ولم يكن جبارًا شقيًا ، فالبر يعافى الإنسان من الشقاء في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٢)

---

(١)سورة مريم ١٣ -١٤

(٢) سورة مريم ٢٨ - ٣٢

من مدحه الرسول بالبر

أويس بن عامر من أهل اليمن

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أسير بن جابر ﷺ قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر ؟

حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر؟ قال : نعم قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يأتي عليكم أويس بن عامر من أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ،له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل " فاستغفر لي فاستغفر له . فقال له عمر : أين

تريد ؟ قال : الكوفة قال : ألا أكتب لك إلى عاملها قال : أكون في غبراء الناس أحب إليَّ فلما كان العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال : تركته رث البيت قليل المتاع . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يأتي عليكم أويس ابن عامر من أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل " فأتى أويسًا فقال استغفر لي قال: أنت أحدث عهد بسفر صالح فاستغفر لي قال: لقيت عمر ؟ قال : نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه .

وتعليقاً على هذه القصة

أولا : نرى أن البر بالآباء يجعل الإنسان مستجاب الدعوة حيث قال النبي ﷺ "لو أقسم على الله لأبره "

ثانياً : أن سيدنا عمر ﵁ وهو من العشرة المبشرين بالجنة وله مع النبي ﷺ مواقف عديدة كلها تشهد له بالفضل ومع هذا أوصاه النبي ﷺ أن يطلب من سيدنا أويس البار بأمه أن يدعو له وليس هذا تصغيرًا من شأن سيدنا عمر ولكنه تعظيمًا للبارين بالوالدين .

ثالثاً : ألا ترى أيها الابن أن ذلك دليلاً على أن للبر مكانة عالية حيث احتاج سيدنا عمر الذي بشر بالجنة وهو يسير على الأرض لاستغفار أويس .

رابعاً : وألا ترى معيَ أيضًا أن سيدنا أويس مع أنه أراد أن يخفي بره بأمه إلا أن الله تعالى أراد أن يظهر ذلك على لسان النبي ﷺ ومع هذا يريد سيدنا أويس مزيدًا من التخفي فرفض أن يكتب له سيدنا عمر إلى عامل الكوفة كتابًا يرفع به شأنه وقال : أكون في غبراء الناس أحب إليّ ، ومع هذا عرفه الناس فانطلق على وجهه أي يسير إلى مكان لا يعرفه أحد .

خامسا : ألا ترى أيها الابن أن ثواب البر يعجل في الدنيا كما جاء في الحديث النبوي وكما نرى في قصة سيدنا أويس .

من قصص البر في القرآن الكريم

البر يزيد الرزق :

جاء في كتاب الله ﷻ عن أشهر قصة في سورة البقرة . قال محمد بن جرير حدثني محمد بن سعيد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله في شان البقرة وذلك أن شيخا من بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان مكثرا من المال وكان بنوا أخيه فقراء لا مال لهم وكان الشيخ لا ولد له وكان بنوا أخيه ورثته فقالوا ليت عمنا قد مات فورثنا ماله وإنه لما تطاول عليهم ألا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال لهم هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم فترثوا ماله وتغرموا أهل المدينة التي لستم

بهاديته وذلك أنهما كانتا مدينتين كانوا في إحداهما وكان القتيل إذا قتل وطرح بين المدينتين قيس مابين القتيل والقريتين فأيتهما كانت أقرب إليه غرمت الدية وأنهم لما سول لهم الشيطان ذلك وتطاول عليهم أن لا يموت عمهم عمدوا إليه فقتلوه ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها فلما أصبح أهل المدينة فجاء بنوا أخي الشيخ فقالوا عمنا قتل على باب مدينتكم فو الله لتغرمن لنا دية عمنا قال أهل المدينة نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلا ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا وإنهم عمدوا إلى موسى عليه السلام فلما أتوه قال بنوا أخي الشيخ عمنا وجدناه مقتولا على باب مدينتهم وقال أهل المدينة نقسم بالله ما قتلناه ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا وإن جبرائيل جاء بأمر السميع العليم إلى موسى عليه السلام فقال قل لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

أن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ فتضربوه ببعضها وقال السدي ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ قال كان رجل من بني إسرائيل مكثرا من المال فكانت له ابنة وكان له ابن أخ محتاج فخطب إليه ابن أخيه ابنته فأبى أن يزوجه فغضب الفتى وقال والله لأقتلن عمي ولآخذن ماله ولأنكحن ابنته ولآكلن ديته فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل فقال ياعم انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلي أن أصيب منهم فإنهم إذا رأوك معي أعطوني فخرج العم مع الفتى ليلا فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع إلى أهله فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه لا يدري أين هو فلم يجده فانطلق نحوه فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم وقال قتلتم عمي فأدوا إلي ديته فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي واعماه فرفعهم إلى موسى

فقضى عليهم بالدية فقالوا له يا رسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية فو الله إن ديته علينا لهينة ولكن نستحي أن نعير به فذلك حين يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فقال لهم موسى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ قالوا نسألك عن القتيل وعمن قتله وتقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ قال ابن عباس فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا وتعنتوا على موسى فشدد الله عليهم فقالوا ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ والفارض الهرمة التي لا تلد والبكر التي لم تلد إلا ولدا واحدا والعوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد

ولدها ﴿ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا ﴾ قال نقي لونها ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ قال تعجب الناظرين ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾من بياض ولا سواد ولا حمرة ﴿ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ فطلبوها فلم يقدروا عليها وكان رجل في بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه وإن رجلا مر به معه لؤلؤ يبيعه وكان أبوه نائما تحت رأسه المفتاح فقال له الرجل تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفا فقال له الفتى كما أنت حتى يستيقظ أبي فآخذه منك بثمانين ألفا قال الآخر أيقظ أباك وهو لك بستين ألفا فجعل التاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين ألفا وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف فلما أكثر عليه قال والله لا

أشتريه منك بشيء أبدا وأبى أن يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة فمرت به بنوا إسرائيل يطلبون البقرة وأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم إياها بقرة ببقرة فأبى فأعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرا فقالوا والله لا نتركك حتى نأخذها منك فانطلقوا به إلى موسى عليه السلام فقالوا يا نبي الله إنا وجدناها عند هذا وأبى أن يعطيناها وقد أعطيناه ثمنا فقال له موسى أعطهم بقرتك فقال يا رسول الله أنا أحق بمالي فقال صدقت وقال للقوم أرضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهبا فأبى فأضعفوه له حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهبا فباعهم إياها وأخذ ثمنها فذبحوها قال اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه من قتلك فقال لهم ابن أخي قال أقتله فآخذ ماله وأنكح ابنته فأخذوا الغلام فقتلوه "

أولاً : من هنا نرى أن بر هذا الشاب بأبيه ضاعف رزقه أضعافًا مضاعفة وهذا نراه في حديث النبي ﷺ عن أنس بن مالك ■ قال : قال رسول الله ﷺ : " من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه " رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح .

ثانيًا :نرى أن قاطع الرحم المتمرد على شرع الله الساخط على قضاء الله احتال فقتل ليرث مالاً كثيرًا ويتزوج ويستمتع بالدنيا الفانية ففضح الله أمره وهتك ستره وعرف أنه القاتل فقتل ولم يرث ولم يتزوج وهكذا قصر عمره وقل رزقه وحرم الخير كله .

البر في القرآن الكريم

١ - في سورة الإسراء : -

حكم قضائي لا استئناف فيه :

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (١)

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ .هو أمر بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك . أمر في صورة قضاء . فهو أمر حتمي حتمية القضاء . ولفظة (وَقَضَىٰ) تخلع على الأمر معنى التوكيد ، إلى جانب القصر الذي

---

(١) سورة الإسراء : ٢٣

يفيده النفي والاستثناء (أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ) فتبدو في جو التعبير كله ظلال التوكيد والتشديد .

فإذا وضعت القاعدة ، وأقيم الأساس ، جاءت التكاليف الفردية والاجتماعية ، ولها في النفس ركيزة مـن العقيـدة فـي الله الواحـد ، توحـد البواعـث والأهداف من التكاليف والأعمال .

والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة ، هي رابطة الأسرة ، ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بعبادة الله ، إعلانا لقيمة هذا البر عند الله:

﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾.

بهـذه العبـارات النديـة ، والصـور الموحيـة ، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلـوب الأبنـاء . ذلـك أن الحيـاة وهـي مندفعـة فـي طريقها بالأحياء ، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام . إلى الذرية . إلى الناشئة الجديدة . إلى الجيل المقبل .وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء . إلى الأبوة . إلى الحياة المولية . إلى الجيل الذاهب ! ومن ثم تحتاج البنـوة إلـى استجاشـة وجـدانها بقـوة لتنعطـف إلـى الخلف ، وتتلفت إلى الآباء والأمهات [1]

ألوان تضحيات الآباء والأمهات :

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد . إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات . وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر ؛

(١) في ظلال القرآن ص ٢٢٢١ .

كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلهما الأجل - وهما مع ذلك سعيدان !

فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله ، ويندفعون بدروهم إلى الأمام . إلى الزوجات والذرية . . وهكذا تندفع الحياة .

ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء . إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف !

وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد , بعد الأمر المؤكد بعبادة الله .

ثم يأخذ السياق في تظليل الجو كله بأرق الظلال؛ وفي استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان[1]

من الجميل رد الجميل :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾.

والكبر له جلاله ، وضعف الكبر له إيحاؤه ، وكلمة (عندك) تصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف . . ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضيق ، وما يشي بالإهانة وسوء الأدب . . ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشي بالإكرام والاحترام ..) واخفض لهما جناح الذل من

(١) في ظلال القرآن ٢٢٢٢ .

الرحمة) وهنا يشف التعبير ويلطف ، ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان . فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينا ، ولا يرفض أمرا .وكأنما للذل جناح يخفضه إيذانا بالسلام .

﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾ [1]

(والاستسلام) . وقل:رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)فهي الذكرى الحانية . ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الولدان ، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان . وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع ، ورعاية الله أشمل ,

---

(١) سورة الإسراء ٢٤-٢٥

وجناب الله أرحب . وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء .

ولأن الانفعالات والحركات موصولة بالعقيدة في السياق ، فإنه يعقب على ذلك برجع الأمر كله لله الذي يعلم النوايا ، ويعلم ما وراء الأقوال والأفعال:

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ .

وجاء هذا النص قبل أن يمضي في بقية التكاليف والواجبات والآداب ليرجع إليه كل قول وكل فعل ؛ وليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطيء أو يقصر ، ثم يرجع فيتوب من الخطأ والتقصير .

وما دام القلب صالحا ، فإن باب المغفرة مفتوح . والأوابون هم الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستغفرين[1] .

٢ – في سورة لقمان :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم ، وفي وصايا رسول الله ﷺ ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلا . ومعظمها في حالة الوأد – وهي حالة خاصة في ظروف خاصة – ذلك أن الفطرة

(١) في ظلال القرآن ٢٢٢٢ .

تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه . فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشيء لضمان امتداد الحياة ، كما يريدها الله ؛ وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال ، في غير تأفف ولا شكوى ؛ بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان ! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان ! فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة ! فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولي الذاهب في أدبار الحياة ، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة ! وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوض الوالدين بعض ما بذلاه ، ولو وقف عمره عليهما . وهذه الصورة الموحية: (حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين) ترسم ظلال

هـذا البـذل النبيـل . والأم بطبيعـة الحـال تحتمـل النصيب الأوفر ؛ وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق . . روى الحافظ أبو بكر البزار في مسنده - بإسناده - عن بريد عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها ، فسأل النبي ﷺ هل أديت حقها ؟ قال:" لا. ولا بزفرة واحدة". هكذا . . ولا بزفرة . . في حمل أو في وضع ، وهي تحمله وهنا على وهن .

وفي ظلال تلك الصورة الحانية يوجه إلى شكر الله المنعم الأول ، وشكر الوالدين المنعمين التاليين ؛ ويرتب الواجبات ، فيجيء شكر الله أولا ويتلوه شكر الوالـدين . . ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ . . ويـربط بهـذه الحقيقـة حقيقـة الآخـرة: (إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ) حيث ينفع رصيد الشكر المذخور [1]

---

(١) الظلال ٢٧٨٨ .

ولكن رابطة الوالدين بالوليد - على كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة - إنما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة . فبقية الوصية للإنسان في علاقته بوالديه: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴾ فإلى هنا ويسقط واجب الطاعة ، وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة .

٣ - سورة النساء :

أولاً : شركة تأمين إسلامية

إنه بدافع الفطرة القوية في الآباء يود الأب أن يوفر لأولاده كل متاع الحياة الدنيا والآخرة مهما كلفه ذلك من ثمن وقد يندفع البعض إلى البحث عن متاع الحياة الدنيا فقط وقد يدفعه ذلك إلى أن يجمع المال لأولاده من الحلال والحرام لا يفرق بين هذا وذاك المهم أن يأتي بالمال وأن يبنى لهم العمارات

وينشئ لهم المصانع وكما يقولون (يؤمن مستقبلهم) ولكن الله تعالى قال غير ذلك فقال : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[1] .

من هنا نجد أن شركة التأمين الإسلامية تتكون من قسطين فقط :

القسط الأول : تقوى الله ﷻ والتقوى كلمة جامعة لكل أفعال الخير التي شرعها الله ﷻ .

القسط الثاني : هو الكلمة الطيبة وهي القول السديد كما قال تعالى في سورة إبراهيم :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

---

(١) سورة النساء : ٩ .

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ نرى هنا أن الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت أي طويلة العمر تؤتى أكلها كل حين أي أنها تؤتى ثمرة كل لحظة إلى ما شاء الله تعالى فكم تكون هذه الكلمة سبباً في إصلاح إنسان أو نجاة إنسان من هلاك أو تحديد مستقبل إنسان وأولى الناس بهذه الكلمة الطيبة هما الولدان اللذان قاما على التربية منذ الصغر، كما أن الكلمة السيئة قد تكون سبباً في الوقيعة بين اثنين وقد تصل هذه الوقيعة إلى مد الأيدي ثم قد تصل إلى القتل.

من هنا من يقدم هذان القسطان التقوى والكلمة الطيبة يضمن لأولاده الحياة الطيبة والدليل على ذلك

في القرآن أيضاً في سورة الكهف ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ في هذه الآية نرى عجباً فقد أرسل الله نبيًا من أولي العزم من الرسل هو سيدنا موسى عليه السلام ورجلاً آتاه الله من لدنه علمًا وهو سيدنا الخضر عليه السلام ليحفظا مال غلامين يتيمين لأن أباهما كان صالحًا فصلاح الآباء هو خير رصيد لصلاح الأبناء في الدنيا والآخرة .

ثانيًا : أنت لا تعلم الغيب :

في هذه الآية بعد أن قسم الله المواريث بين الأبناء نبه الأبناء إلى قضية خطيرة في نهاية هذه الآية وهي قضية المنفعة فدائماً يندفع الإنسان لرعاية أبنائه وينسى والديه ومما رأيت في حياتي رأي العين

وأقسم بالله غير حانث أن هذه القصة حقيقية حيث رأيت من بحث عن مصلحة أبنائه ونسي والديه ثم جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن فمرض مرضا شديدًا وما زال أولاده صغارًا لم يقدروا على خدمته وقام على خدمته في مرضه أبواه فقد نسي الأبوان إساءة الإبن فيما سبق وقدما له كل ألوان الرعاية ثم توفي الابن وتولى الوالدان أيضا رعاية أولاده من بعده وهذا ما نراه في نهاية هذه الآية :

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ (١)

---

(١) سورة النساء : ١١ .

س: هل رعاية والدي الزوج واجبة على الزوجة أم لا ؟

ج: قال بعض الفقهاء أن الزوجة لا يطلب منها إلا رعاية زوجها فقط وهذه نسلم بها جدلاً لأن الإسلام بلغة العصر الحديث " ديمقراطي" أي يعطي الحرية كاملة ولكن فتح لنا باب الفضل ليجعل المسلم والمسلمة يرقى بنفسه لمنزلة أعلى عند الله تعالى كما قال تعالى في صورة البقرة : ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ إذا كان هذا الطلاق - عافانا الله وإياكم جميعاً منه – بين زوجين لم يرتبطا ببعضهما وليس بينهما أولاد ومع هذا طلب الله تعالى منا

العفو وجعل العفو هو الأقرب للتقوى والتقوى ثمرتها الجنة حيث يقول تعالى في سورة مريم ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾

فما بالك أيتها الزوجة وبينكما أولاد وعشرة طيبة ومودة ورحمة فهل يصح أن ننسى الفضل وهو المرتبة الأعلى من العفو وهذا أمر متروك لك وأنت مخيرة بين العدل وبين الفضل ولكن للفضل مكانة عالية عند الله وفوائده كالآتي : -

- من يعامل الناس بالفضل فسيعامله الله عز وجل بالفضل فقال تعالى ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [1] .
- إذا شعر الزوج بأنك تعاملي أهله بالفضل فلا شك أنه سيعامل أهلك بالفضل وأكثر وسيعاملك

(١) سورة الرحمن : ٦٠ .

بمزيد من الفضل وبهذا يكون المجتمع كله في سلام نفسي متكامل .

- لو شعر الزوج بالتقصير في حق والديه سيتأثر بذلك ولا شك وسيعود هذا التأثير على نفسيته قطعًا مما يؤثر على صحة البيت النفسية .

هل ترضين أن تعيشي مع زوج هو في حكم العاق لوالديه إن قصر في رعايتهما ؟ أي سيكون من أهل النار ؟

كيف هذا ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . هلا كنت له خير معين فالأمر جد خطير . إنها الجنة ثمرة البر .

ملاحظة مهمة :

قد تغض أم أو أب على ولده وينسى لأنه لم يكن باراً بأبيه وبالتالي فولده لن يكون باراً به وعلاج ذلك الأمر كثرة الاستغفار على ما فات وأن يبر

والديه بر الحياة وبر ما بعد الموت عسى الله أن يتقبل منه ويغفر له ويعود ولده إلى بره .

وقد تغضب أم من زوجة ابنها أنها لا تعاملها معاملة حسنة وتنسى أنها يوم أن كانت زوجة الابن لم تعامل أم زوجها معاملة حسنة والجزاء من جنس العمل فعلى كل زوجة أن تعامل أم زوجها بما تحب أن تعاملها به زوجة ابنها في المستقبل حين تصبح في مثل حالها وعلى كل أم زوج أن تعتبر زوجة ابنها كإبنتها ترفق بها وتعينها على أن تبرها حتى تكون حياة ولدها سعيدة لأنه لا شك سيتأثر بنفسية زوجته ويصبح ولدها بين أمرين أحلاهما مُر ، رضى الأم أم رضى الزوجة وهو في الحالتين غير سعيد ولن تتحقق له السعادة إلا إذا كان الكل في سلام نفسي الأم والأب والزوجة والأولاد .

الفصل السادس

البر في السنة

أولاً : البر يزيد الرزق ويطيل العمر

عن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ : " من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه " **رواه أحمد** ورواته محتج بهم في الصحيح .

ثانياً : البر سبب النجاة

حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري: حدثني سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم

كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فناء بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج،

ثالثا : الجزاء من جنس العمل :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم " رواه الطبراني بإسناد حسن ورواه أيضاً غيره عن عائشة رضي الله عنها .

عن جابر يعنى ابن سمرة رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ على المنبر فقال : (آمين آمين ، آمين) قال :

أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه فماتا ، فدخل النار فأبعده الله فقل آمين فقلت آمين . . . . " رواه الطبراني

ومن حديث أبى هريرة إلا أنه قال فيه " ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات ، فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت : آمين " رواه الطبراني

رابعًا : البر مع الشرك

عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قال : قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : قدمت علي أمي وهي راغبة؟ أفأصل أمي ؟ قال : " نعم صلي أمك " **رواه البخاري ومسلم**

خامسًا : قصص من بر سلفنا الصالح

(١) حارثة بن النعمان ﷺ يُطعم أمه بيده

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : " نمت فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارئ يقرأ ، فقلت:

من هذا ؟ قالوا : هذا حارثة بن النعمان فقال لها رسول الله ﷺ كذاك البر كذاك البر " .وكان أبر الناس بأمه . وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أبر من كان في هذه الأمة بأمهما : عثمان بن عفان ، وحارثة بن النعمان رضي الله عنهما أما عثمان : فإنه قال ما قدرتُ أتأمل وجه أمي منذ أسلمتُ . وأما حارثة فكان يطعمها بيده ولم يستفهما كلاماً قط تأمر به ، حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج : ماذا قالت أمي ؟ (١)

(٢) ذكر صاحب عيون الأخبار هذا الخبر : قيل لعمر بن زيد : كيف بر ابنك بك ؟ قال : ما مشيت نهارًا قط إلا وهو خلفي ، ولا ليلاً إلا مشى أمامي ، ولا رقي سطحًا وأنا تحته (٢).

---

(١)صور من حياة الأنبياء الصحابة والتابعين ص ١٤ .

(٢) صور من حياة الأنبياء الصحابة والتابعين ص ١٨ .

(٣) قال بشر الحافي : الولد يقرب من أمه بحيث يُسمع أمه : أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله ، والنظر إليها أفضل من كل شيء[١] .

(٤) كان محمد بن سيرين لا يكلم أمه إلا كما يكلمُ الأمير الذي لا ينتصف منه .

وعن بعض آل سيرين قال : ما رأيتُ محمد بن سيرين يكلم أمه ، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته ؛ إجلالاً لها . وعن ابن عون قال : " دخل رجل على محمد بن سيرين وهو عند أمه ، فقال : ما شأن محمد ، أيشتكي شيئاً ؟ قالوا: لا ، ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه[٢] .

(٥) وهذا الإمام أبو حنيفه – فعن يحي بن عبد الحميد قال : كان الإمام يخرج كل يوم من

---

(١) صور من حياة الأنبياء الصحابة والتابعين ص ١٦ .

(٢) صور من حياة الأنبياء الصحابة والتابعين ص ١٦ .

السجن فيُضرب ليدخل القضاء ، فيأبى ، فلما ضُرب رأسه وأثر ذلك في وجهه بكى ، فقيل له في ذلك ، فقال : إذا رأته أمي بكت واغتمت ، وما عليَّ شيء أشد من غم أمي[1] .

٢ – العقوق في السنة

أولاً : أكبر الكبائر

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثًا ؟ " قلنا : بلى يا رسول الله . قال : " الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين " ،وكان متكئاً فجلس فقال : " ألا وقول الزور ، وشهادة الزور " فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت . **رواه البخاري ومسلم والترمزي**

ثانياً : من الكبائر

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : من الكبائر " شتم الرجل والديه "

---

(١) صور من حياة الأنبياء الصحابة والتابعين ص ٢٠ .

قالوا : يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : " يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه" رواه البخاري ومسلم .

ثالثاً : العقوق يمنع نطق الشهادة عند الوفاة :

روي عن عبد الله بن أبى أوفى ﷺ قال : كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه ، فقيل له : قل لا إله إلا الله فلم يستطع فقال : " كان يصلي ؟ "فقال: نعم. فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه ، فدخل على الشاب فقال له: "قل لا إله إلا الله" فقال : لا أستطيع . قال : " لم ؟ " قال : كان يعق والدته . فقال النبي ﷺ : " أحية والدته ؟ " قالوا : نعم . قال : " ادعوها " فدعوها فجاءت ، فقال : " هذا ابنك ؟ " فقالت : نعم . فقال لها : " أرأيت لو أجّجت ناراً ضخمة ، فقيل لك : إن شفعت له خلينا عنه ، وإلا حرقناه بهذه النار ، أكنت تشفعين له ؟

قالت : يا رسول الله ﷺ إذاً أشفع له . قال : " فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه " قالت : اللهم إني أشهدك ، وأشهد رسولك أني قد رضيت عن إبني . فقال له رسول الله ﷺ : " يا غلام قل: لا إله الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله " فقالها . فقال رسول الله ﷺ : " الحمد الله الذي أنقذه بي من النار " رواه الطبراني .

رابعاً : التعجيل بعقاب العقوق في الدنيا

عن أبى بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : " كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات " رواه الحاكم والأصبهاني .

خامسًا : البر بعد الموت

عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله هل بقي من بر

أبـوي شـئ أبرهمـا بـه بعـد موتهمـا ؟ قـال : " نعـم الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما " رواه أبو داوود وابن ماجة وابن حبان في صحيحة ، وزاد في آخره : قال الرجل ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه . قال : " فاعمل به " .

هنا نرى أن هذا الولد قد استطيب هذه الأعمال برًا بوالديه بعد موتهما حيث يشعر فيها بلذة البر وكأنهما لا زالا على قيد الحياة فرضي الله عنه وأرضاه .

مشاعر أب فقد ولده

لقد فقد الشاعر العربي ابن الرومي ولده الأوسط محمد فرثاه بقصيدة تعتبر من عيون الشعر العربي في فن الرثاء حتى قال له أصحابه إن كان محمدًا قد مات فبقي لك اثنان غيره فلم كل هذا البكاء فرد عليهم بحجة دامغة وتشبيه رائع بأن الأولاد مثل الجوارح لا تغنى جارحة عن جارحة فقال :

أولادنا مثل الجوارح أيهم فقد
ناه كان الفاجع البين الفقد
هل السمع بعد العين يغنى مكانها
أو العين بعد السمع تهدى كما يهدى
وما سرنى أن بعته بثوابه
ولو أنه التخليد في جنة الخلد

هـاهم الأولاد مهمـا كـان عـددهم فـلا يغنـى أحدهم عن الآخر كما لا تغنى العين عن السمع أو السمع عن العين أو الشم عن التذوق فكل جارحة لها مكان ولها وقت يحتاج الإنسان إليها فيه وهذا برهان جيد لا يستطيع الإنسان الجدال فيه .

وفى البيت الأخير نرى أن النقاد قد عابوا عليه واتهموه بأنه غير راض بالجنة مع أنها سلعة الله الغالية وأنها ثمن لولده الذي فقده ولكن نقول لهم أن ابن الرومي له مشاعر خاصة .

الأب رمز العطاء

ابن الرومي مثلاً أعلى للأب الحنون الشفيق المحب لأولاده فهو دائما يعطيهم مهما كلفه هذا العطاء من جهد ومشقة وهو لا يريد أن يأخذ منهم شيئاً فهل يأخذ الجنة بموت ولده ؟ !

إنه يريد أن ينال الجنة بأن يجتهد في عبادة الله وينال الجنة أيضاً برحمة الله كما قال سيدنا رسول

الله : " قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحدك منكم بعمله " قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل " **رواه الإمام مسلم**

تأملات

هل ترى ولدًا حزن على أبيه كما حزن ابن الرومي على ولده ؛ فأين هذا من هذا المجرم يوم القيامة الذي يحكي القرآن عنه في صورة المعارج ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾ وهذا ما يحمله المثل الشعبي (إن جالك الطوفان حط ابنك تحت رجليك) أي أنه يجعل ابنه سلّمًا ليرتفع به عن الغرق . ولكن ابن الرومي غير ذلك فهو مَثَل للأب الحاني.

خاتمة

من خلال هذا البحث أرى وترى معيَّ أيها الابن أنك الفائز الأول من برك بوالديك في الدنيا قبل الآخرة وتأمل في أهل قريتك اقرأ في كتب السابقين ستجد السعادة لمن بر والديه والشقاء لمن عقهما في الدنيا قبل الآخرة .

واعلم أن والديك هما طريقك إلى الجنة أو إلى النار فأي الطريقين تختار ؟

